الحياة الاجتماعية في المدينة المنورة
في عصر الخلفاء الراشدين (١١-٣٥هـ/٦٣٢-٦٥٥م)

Social Life in Medina during the Era of the Rightly Guided Caliphs

(11-35 AH / 632-655 CE)

إعداد

م.م. شيماء عبد الله قدوري

Instructor. Assit. Shaymaa Abdullah Qaddori

كلية الامام الأعظم الجامعة/ قسم التاريخ والحضارة الاسلامية

Imam AlAdham University College

١٤٤٦هـ ٢٠٢٥م

ملخص البحث:

مثلت الحياة الاجتماعية في المدينة المنورة في حقبة صدر الإسلام في العهدين النبوي والراشدي، صورة فريدة في تاريخ الإنسانية، حتى عد المجتمع الذي كان سائدا في تلك الحقبة مجتمعا فاضلاً.

كانت البساطة الظاهرة والمعيشة البسيطة غير المعقدة في المدينة المنورة قد أخذت شكلها من تعاليم الإسلام ودعواته في كيفية التعامل مع الحياة الدنيا، ومن أخلاق النبي محمد صلى الله عليه وسلم ومن بعده الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم، وكان هذا الحال قائما في عهد الخلافة الراشدة إلى أن بدأت حركة الفتوح الإسلامية المباركة والكبيرة للبلدان، فكان من نتائجها أن تنوع السكان في المدينة المنورة، مما أدى إلى تغير في كثير من مظاهر الحياة الاجتماعية فيها، وذلك بسبب نقل الثقافات من سكان تلك البلدان الذين استقروا بالمدينة المنورة، وكان ذلك قد بدا جليا في أيام خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه، فتغيرت مظاهر المسكن والملبس والمأكل، وكثير من العادات والتقاليد.

الكلمات المفتاحية: تقشف، بساطة، مجتمع، مساواة، مأكل.

Absitract

Social life in Medina in the era of early Islam in the Prophet's and Rashidun eras represented a unique and rare image in the history of humanity، until the society that prevailed in that era was considered a virtuous society.The apparent simplicity and simple uncomplicated living in Medina has taken its form from the teachings of Islam and its calls on how to deal with the worldly life، and from the morals of the Prophet Muhammad (peace be upon him) and after him the Rightly-Guided Caliphs (may God be pleased with them)، and this was the case in the era of the Rightly-Guided Caliphate until the movement of blessed and large Islamic conquests of countries began، and one of its results was that the diversity of the population in Medina، which led to a change in many of the Aspects of social life in it، due to the transfer of cultures from the inhabitants of those countries who settled in Medina، and this was evident in the days of the caliphate of Othman bin Affan (may Allah be pleased with him)، so the

manifestations of housing، clothing، food، and many customs and traditions changed.

Keywords: Austerity، Simplicity، Community، Equality، Food.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على حبيب رب العالمين سيدنا محمد الصادق الأمين وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد:

فإن الحياة الاجتماعية عند العرب قد تغيرت كثيرا حين بدأ الإسلام ينتشر بينهم، كونه الدين الذي بدل حياتهم بكل جوانبها من حالة سيئة إلى حالة حسنة في المظهر والجوهر، وأكد على بقاء الكثير من المظاهر الاجتماعية التي كانت سائدة في المجتمع في حقبة قبل الإسلام خاصة إذا كانت هذه المظاهر من التي تعد ضمن مكارم الأخلاق.

كانت المدينة المنورة، إحدى أهم الأماكن التي تأثرت حياتها الاجتماعية بمبادئ الدين الإسلامي، فامتازت حياتها الاجتماعية بالبساطة والابتعاد عن التعقيد خاصة في عهد الإسلام الأول سواء بالوقت الذي كان فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم موجودا فيه بين أفراد المجتمع، أو على عهد خلفائه الراشدين؛ أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهم، ويستثنى منهم في هذا الموضوع قيد الدراسة سنوات خلافة علي بن أبي طالب رضي الله عنه؛ لأنه انتقل بمركز الخلافة إلى الكوفة ولم يبق بالمدينة المنورة؛ لذلك لم ترد معلومات تخص مدة بقائه بالمدينة المنورة لأنها لا تختلف بطبيعتها عن الذي كان سائدا قبله توليه الخلافة؛ لذا فكان عنوان موضوع البحث "الحياة الاجتماعية في المدينة المنورة في عصر الخلفاء الراشدين (١١-٣٥هـ/٦٣٢-٦٥٥م)، وقد قسم البحث إلى مطلبين رئيسين هما؛ المطلب الأول وعنوانه: الحياة

الاجتماعية في عصر الخليفتين أبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما، أما المطلب الثاني فعنوانه: الحياة الاجتماعية في عصر الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنهما.

تم الاعتماد على جملة من المصادر والمراجع لإنجاز هذا البحث وجمع مادته العلمية، ومن هذه الكتب: كتاب صحيح مسلم لمسلم (ت،٢٦١هـ/٨٧٤م)، وكتب التاريخ ومنها: كتاب الرسل والملوك للطبري (ت،٣١٠هـ/٩٢٢م)، وكتاب البداية والنهاية لابن كثير (ت،٧٧٤هـ/١٣٧٢)، وكتب الطبقات والأنساب ومنها: كتاب الطبقات الكبرى لابن سعد (ت،٢٣٠هـ/٨٤٤م)، وكتاب أنساب الأشراف للبلاذري (ت،٢٧٩هـ/٨٩٢م)، وكتاب أسد الغابة لابن الأثير (ت،٦٣٠هـ/١٢٣٢م)، أما المراجع الثانوية فكان منها: كتاب تاريخ الدولة العربية، للسيد عبد العزيز سالم، وكتاب التاريخ الإسلامي العام لعلي إبراهيم حسن، وكتاب التحول الاقتصادي والاجتماعي في مجتمع صدر الإسلام للحبيب الجنحاني، وكتاب عثمان بن عفان، لصادق إبراهيم عرجون.

المطلب الأول: الحياة الاجتماعية في عصر الخليفتين أبي بكر الصديق (ت،١١هـ/٦٣٢م) وعمر بن الخطاب (ت،٢٣هـ/٦٤٣م) رضي الله عنهما

أولاً: فئات المجتمع:

كان المجتمع الإسلامي في عصر الخلافة الراشدة مشابه لعصر النبوة في المدينة المنورة[١]، على الرغم من حدوث بعض التغييرات البسيطة، فكان مكون من العرب المهاجرين والأنصار، كما وسكنت المدينة قبائل أخرى قبل الهجرة، ومن الموالي، ومن الرقيق المعتوقة رقابهم، والرقيق أسرى

(١) المدينة المنورة: مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم، كان يطلق عليها يثرب لأن أول من سكنها عند التفرق يثرب بن قانية، فلما نزلها رسول الله صلى الله عليه وسلم سماها طيبة وطابة كراهيةً للتثريب، وسميت مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم لنزوله بها. ينظر: ياقوت الحموي، شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله (ت،٦٢٦هـ/١٢٢٨م): معجم البلدان، دار صادر (بيروت،١٩٧٧م)، ج٥، ص٤٣٠.

الحروب، لكن تميز المجتمع الإسلامي بالمساواة بين الجميع وتلك المساواة تنبع من الشريعة الإسلامية[١].

كانت عناصر الترابط بين أفراد المجتمع قوية؛ إذ كان الاحترام المتبادل، وكانت المرأة تتميز بمكانه عالية في المجتمع؛ إذ كانت تتعلم أمور دينها لتعلم أولادها، وتعلم الناس ضمن الضوابط الشرعية، فكان المجتمع يسوده العدل والمساواة[٢].

ثانياً: الأحوال المعيشية والمظاهر الاجتماعية:

ساوى الخليفة أبو بكر الصديق رضي الله عنه بين جميع عناصر المجتمع في المدينة؛ إذ كان ضعيفهم مثل أميرهم والكل سواء، وكانت الأرزاق والعطاء توزع لأفراد المجتمع بالسواء، والحياة المعيشية كانت متشابهة عندهم؛ إذ كان طعامهم اللحم المطبوخ بالماء والملح، والخبز، والخل، وغيرها ولم يعرفوا رفاهية العيش المتنوع في ذلك الوقت[٣]، في حين كان طعام أهل بادية المدينة؛ الخبز، والتمر، والزبد، والسلاء[٤]، وغيرها من الأصناف، وكان الجميع مقتصدين في الأكل ولم يسرفوا ولم يبذروا، وعند توسع الفتوحات بدأت تضاف إلى موائد أهل المدينة المنورة وكذلك صنوفاً من الأكل مثل: الرز، والدجاج، وخلافه[٥].

---

(١) ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد الشيباني الجزري(ت،٦٣٠هـ/١٢٣٢م): أسد الغابة في معرفة الصحابة، دار الفكر (بيروت،١٩٨٩م)، ج٣، ص٢٣.

(٢) البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر بن داود (ت،٢٧٩هـ/٨٩٢): أنساب الاشراف، تحقيق: سهيل زكار ورياض الزركلي، دار الفكر (بيروت،١٩٩٦م)، ج١٠، ص٦٠.

(٣) حسن، علي ابراهيم: التاريخ الاسلامي العام، مكتبة النهضة المصرية (القاهرة، ٢٠١٧م)، ص٥٥١.

(٤) السلاء: سمن الغنم الصافي الرقيق الطيب الرّيح الذي يشبه ماء الورد في القوارير لا يغيره مرور المد الطوال. ينظر: الزمخشري، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر بن احمد (ت،٥٣٨هـ/١١٤٣م): أساس البلاغة، تحقيق: محمد باسل، دار الكتب العلمية (بيروت،١٩٩٨م)، ج١، ص٤٦٧.

(٥) البلاذري، فتوح البلدان، دار ومكتبة الهلال (بيروت، ١٩٨٨م)، ص٣٥.

أما بالنسبة للسكن فكان حسب ما خططه رسول الله صلى الله عليه وسلم عندما بنى المسجد النبوي في وسط المدينة، فكان المسجد النواة التي نمت حولها الأبنية والطرقات، فبنى بعض المهاجرين في خطط الأنصار شمالي المسجد النبوي(١)، وقد كونت الدور والشوارع حول المسجد النبوي ما يشبه الخطة الواحدة؛ إذ جمعت عدة قبائل من المهاجرين وبعض الأنصار وقد كانت القطائع للدور حول المسجد كلها فردية، ثم أقطع رسول الله صلى الله عليه وسلم بعيدا عن المسجد قطائع جماعية للقبائل، وقد انتشر البناء والعمران بالمدينة، فتزايد الناس استقرارا بها لأنها كانت مشتهرة بوفرة مياهها وكثرة نخيلها(٢).

ثالثاً: المساواة الاجتماعية والتعاون الاجتماعي:

كانت المساواة هي السمة السائدة بين فئات المجتمع الإسلامي في العصر الراشدي، فأكد عليها الخليفة أبو بكر الصديق رضي الله عنه عند توليته مسؤولية الخلافة بقوله: ((أما بعد أيها الناس فإني قد وليت عليكم ولست بخيركم فإن أحسنت فأعينوني، وإن أسات فقوموني، الصدق أمانة والكذب خيانة، الضعيف فيكم قوي عندي حتى أرجع اليه حقه إن شاء الله، والقوي منكم ضعيف عندي حتى أخذ الحق منه إن شاء الله، لا يدع أحد منكم الجهاد في سبيل الله، فإنه لا يدعه قوم إلا ضربهم الله بالذل، ولا تشيع الفاحشة في قوم إلا عمهم الله بالبلاء، أطيعوني ما أطعت الله ورسوله، فإن عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم قوموا إلى صلاتكم يرحمكم الله))(٣).

---

(١) السمهودي، علي بن عبد الله بن أحمد الحسني الشافعي (ت،٩١١هـ/١٥٠٥م): وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، دار الكتب العلمية (بيروت،١٩٩٨م)، ج١، ص٣٢٢.

(٢) البلاذري، فتوح البلدان، ص٢٣.

(٣) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٣، ص١٨٣.

رابعاً: المجتمع في مدة حكم عمر بن الخطاب: رضي الله عنه

أخذت الحياة تتغير بعض الشيء على عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ولا سيما بسبب كثرة الفتوحات والأموال التي حصل عليها المسلمون التي وردت إلى المدينة المنورة لأنها مركز الحكم ومستقر خليفة المسلمين، لكن ميزة المدينة كعاصمة لم تقلل من انتشار المسلمين في المدن والأماكن الأخرى؛ إذ كان العرب المسلمون قد انحصر قسم منهم بالأماكن المتحضرة مثل: العراق واليمن وبلاد الشام، في حين سادت البداوة في انحاء الجزيرة العربية وبذلك أصبح العرب المسلمون ينقسمون إلى بدو رحل، يربون المواشي، ويرافقون القوافل، ويشاركون في الغزوات، وينتقلون بين أماكن توافر الماء والكلأ، وحضر مستقرون في الواحات، وبعض الجهات الخصبة من أرض العرب، وفي بعض المدن الرئيسة كمكة المكرمة(١)، والطائف(٢)، ومدن أخرى تم إنشاؤها فأصبحت أمصاراً في عصر الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه كالكوفة(٣)، والبصرة(٤)، والفسطاط(٥)، وما أن استقر بهم الحال في تلك المدن حتى كانوا يمارسون فيها الزراعة، ويعملون فيها بالتجارة التي اتسع نطاقها فيما بعد، وقد أدى ذلك إلى انكماش البداوة وانتشار الحضارة على عكس ما كان في عصر قبل الإسلام(٦)، ثم أخذ ذلك المجتمع ينحو منحاً جديداً، فسقطت منه

(١) مكة: اسم المدينة، وبكة اسم البيت، وقال آخرون مكة هي بكة والميم بدل الكاف، وسميت بهذا الاسم لازدحام الناس بها. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٥، ص١٨١.

(٢) الطائف: بليدة صغيرة على طرف واد وهي محلتان، إحداهما على الجانب يقال لها طائف ثقيف، والأخرى على الجانب يقال لها الوهط، بينها وبين مكة اثنا عشر فرسخاً. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٤، ص٩.

(٣) الكوفة: مدينة مشهورة تقع بأرض بابل من سواد العراق. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٤، ص٤٩٠.

(٤) البصرة: مدينة مشهورة تقع في العراق. ينظر: ابن عبد الحق، صفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق البغدادي الحنبلي (ت،٧٣٩هـ/١٣٣٨م): مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، تحقيق وتعليق: علي محمد البجاوي، دار الجيل (بيروت،١٩٩٢م)، ج١، ص٢٠١.

(٥) الفسطاط: مدينة تقع في مصر شيدها القائد عمرو بن العاص. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٤، ص٢٦٤.

(٦) البلاذري، أنساب الأشراف، ج١٠، ص٣٢١.

العصبية والافتخار بالنسب، وأصبح المقياس الحقيقي لمكانة الفرد ومنزلته هو: الخضوع لتعاليم القرآن الكريم، والامتثال لأوامر الرسول صلى الله عليه وسلم وخلفائه الراشدين رضي الله عنهم من بعده، فهذه التعاليم حاربت العصبية والقبلية، ووحدت بين البدو والحضر، ودعت إلى رابطة العقيدة الواحدة، وإلى الجهاد في سبيل الله الذي أخذ يحل محل التعصب والأخذ بالثأر، وهكذا انقاد العرب لقائد واحد بفضل اتباعهم لعقيدة واحدة(١).

إنّ العدالة الاجتماعية كانت تسود المجتمع الإسلامي في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه، يوم كان المسلمون كما يقول فيهم سبحانه في قوله تعالى:﴿ مُّحَمَّدٞ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا سُجَّدٗا يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗاۖ سِيمَاهُمۡ فِي وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِۚ وَمَثَلُهُمۡ فِي ٱلۡإِنجِيلِ كَزَرۡعٍ أَخۡرَجَ شَطۡـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسۡتَغۡلَظَ فَٱسۡتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعۡجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلۡكُفَّارَۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنۡهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمَۢا﴾(٢)، وكما جاء في قوله صلى الله عليه وسلم:((مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى))(٣).

(١) ابن الأثير، أسد الغابة، ج٣، ص٢٩.

(٢) سورة الفتح: آية ٢٩.

(٣) مسلم، أبو الحسين بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري (ت:٢٦١هـ/٨٧٤م): الجامع الصحيح المسمى صحيح مسلم، دار الجيل بيروت (بيروت، د.ت)، ج٤، ص١٩٩٩، رقم الحيث ٢٥٨٦.

كان الموالي والرقيق وأهل الذمة ينعمون بعيش سالم ورغيد، وكان للمرأة دور في هذا المجتمع، وأيضا عد أهل البادية وقبائلهم الركيزة الأولى للمجتمع الإسلامي في صدر الإسلام، وقد كان الاعتماد الرئيس ينصب عليهم في إدارة شؤون الدولة في العصر النبوي والعصر الراشدي(١).

كان الخلفاء الراشدون في مجالسهم يسيرون على منهج النبي صلى الله عليه وسلم، إذ مجالسهم في مساجدهم ومنازلهم، وتتميز هذه المجالس بالبساطة والتواضع، فكانوا يجلسون على حصير أو على عباءة أحدهم، فيدخل إليهم عامة الناس يسألونهم حوائجهم، ومطالبهم ويخاطبونهم بأسمائهم، واذا ما سارت الجيوش مع قائدها، سار بجوارهم الخليفة ماشيا بصبر ورفق بلا حرس، وكان عمالهم بالأقطار المفتوحة يسيرون على نهجهم، فكان الولاة يعقدون مجالس اجتماعية في أمصارهم، تماما كما يفعل الخليفة، ليعملوا على حل مشاكل المسلمين، وأهل البلاد المفتوحة ويعلمونهم شئون دينهم ودنياهم(٢).

المطلب الثاني: الحياة الاجتماعية في عصر الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه:

أولاً: فئات المجتمع:

كان المجتمع الإسلامي في عصر الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه قويا ومتماسكاً، ولم يختلف هذا المجتمع وبقي محافظاً على صفاته في خلافة عثمان رضي الله عنه، وقد كان للشورى التي تم بها اختيار الخليفة عثمان رضي الله عنه أثراً آخراً على ترابط المجتمع وقوته فلم يتنازع الذين كلفوا بالشورى فيما بينهم، بل توصلوا إلى الهدف المنشود في اختيار الصحابي الجليل والخليفة الثالث عثمان بن عفان رضي الله عنه بطريقة سهلة مالت إلى الهدوء والسلام(٣).

---

(١) ابن سعد الطبقات الكبرى، ج٢، ص١٨٥.

(٢) ابن طباطبا، محمد بن علي (ت،٧٠٩هـ/١٣٠٩م): الفخري في الآداب السلطانية والدول الاسلامية، مكتبة الثقافة الاسلامية (القاهرة، د.ت)، ص٨٤– ٨٥.

(٣) عرجون، صادق إبراهيم: عثمان بن عفان، دار السعودية للنشر، (جدة،١٩٩٠م)، ص٨١.

نظراً لاتساع الفتوح استقر الكثير من طبقات المجتمع في مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم فتغيرت طبيعتها الديموغرافية التي كانت متشابهة وكانت أقرب إلى البداوة، فأصبحت متنوعة بما جاء إليها من اجناس الناس، ومختلفة باختلاف حضارات الذين دخلوا إليها، وهذا جعل تمازجا بين السكان من بيئات متباينة، فأخذ الناس ينظر بعضهم إلى بعض بنظرات متباينة يكاد ينشأ عنها نوع من التمايز الطبقي لا يعرفها الإسلام في عهده القريب، وفي هذه الأثناء تظاهرت جماعات من الموالي بالإسلام؛ إذ كان في نفوسهم شيء يريدون أن يحققوه فكان هذا قد بدأ في عصر عثمان بن عفان رضي الله عنه(١).

في عصر الإسلام الأول لا يوجد في الإسلام طبقات ولا فروق، اللهم إلا ما كان في الأعطيات لأصحاب السابقة من المهاجرين والأنصار، ومن شهد بدراً(٢)، وكل من يدخل في الاسلام تكون له حقوق وعليه واجبات وفق القاعدة المعروفة ان الإسلام يجب ما قبله(٣)، فبقي باب الإسلام والمسلمين مفتوحا أمام غير المسلمين ليدخلوا بالإسلام ومن ثم ليتساووا مع المسلمين في كل الحقوق إذا ما اعتنقوا الإسلام، فحينئذ تسقط عنهم الجزية(٤) ويفرض لهم في العطاء؛ أما إذا بقي أهل الذمة على دينهم فالجزية تجب عليهم مقابل تعهد المسلمين بالدفاع عنهم والمنعة لهم، كذلك ترك المسلمون

(١) ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر الدمشقي(ت،٧٧٤هـ/١٣٧٢م): البداية والنهاية، دار الفكر(دمشق/١٩٨٦م)، ج٧، ص١٦٨.

(٢) أبو يوسف، يعقوب بن إبراهيم (ت،١٨٢هـ/٧٩٨م): الخراج، دار المعرفة للطباعة والنشر (بيروت،١٩٩٧م)، ص٤٤.

(٣) الطبري، محمد بن جرير(ت،٣١٠هـ/٩٢٢م): تاريخ الرسل والملوك، دار الكتب العلمية (بيروت،١٩٨٦م)، ج٢، ص٦٤٧.

(٤) الجزية: فهي الضَّريبة الَّتي تؤخذ من أَهل الذِّمة مقابل حماية الدَّولة لهم وضمان سلامتهم واستقرارهم في مدنهم وقراهم، وقيل عنها جوازاً هي الخراج المضروب على رؤوس أهل الذمة، من النصارى واليهود والمجوس من كل عام، وتسقط بحدوث الإسلام. ينظر: أبو يوسف، الخراج، ص١٢٢-١٢٣؛ الماوردي، أبو الحسن احمد بن علي (ت،٤٥٠هـ/١٠٥٨م): الأحكام السلطانية والولايات الدينية، تحقيق: أحمد مبارك البغدادي، دار ابن قتيبة (الكويت، ١٩٨٩م)، ص١٨١.

لأهل الذمة بأن يكونوا أحراراً في ديانتهم وعبادتهم فكفلت لهم حرية العقيدة والعبادة، قال المستشرق (جيبون): ((وقد اتبع المسلمون سياسة التسامح مع الأمم المغلوبة، ونجحت سياستهم وتركوا للناس حرية العمل والعبادة))[١].

ثانياً: الأحوال المعيشية:

ما أن تولى الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه خلافة وقيادة الدولة الإسلامية الفتية حتى تساهل مع المسلمين فأنطلق المسلمون إلى حياة الترف والاستمتاع بها في حدود الدين والشرع، فبدلوا مساكنهم، وملبسهم، ومأكلهم، ومشربهم، فعملوا على تشييد القصور الجميلة المنمقة بدلا من الدور البسيطة التي كانوا يعيشون فيها في البداية، وأيضا خرج كبار الصحابة إلى الأمصار المفتوحة فكان بعضا منهم خرج من أجل دواعي الجهاد، وبعض منهم من أجل حياة معيشية أخرى فإن بعضهم قد أثرى بتجارتهم، وبنوا قصورا، وأقطعهم الخليفة القطائع، ومنحهم الأعطيات، فتوزعوا في الأرض واستصلحوها، وسمح لكبار الصحابة بالعمل في التجارة، فأدى ذلك لظهور الترف في المجتمع الإسلامي آنذاك، فانقلبت حياة ذلك المجتمع بعد حياة الفقر والتقشف في عصر النبوة وعصر الخليفة أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما إلى حياة فيها ترف ورفاه بالمعيشة[٢].

وفي عهد عثمان رضي الله عنه سلك الكثير من عماله، والكثير من أهله طريقته وساروا على نهجه في التسامح والحياء، فقبل أن يصبح خليفة كان كثير المال عظيم الغنى، فبنى دارا له

---

(١) جيبون، إدوارد: اضمحلال الامبراطورية الرومانية وسقوطها، ترجمة: محمد علي أبو درة، الهيئة المصرية العامة للكتاب(القاهرة، ١٩٩٧م)،ج٣، ص٤٤– ٤٥.

(٢) ابن كثير، البداية والنهاية، ج٧، ص١٥٣.

بالمدينة وشيدها بالحجر والكلس، واقتنى الكثير من الأموال والجنان والعيون، وانفق في سبيل الدعوة للإسلام الكثير حتى أنه اشترى بماله الخاص بئر رومه(١)، فجعلها وقفا للمسلمين(٢).

وقد كان لزيادته في العطاء للمسلمين أن أحبه العامة واحترموا فيه سخائه وقد أدى ذلك إلى خلق حالة من الترابط الوثيق بين أفراد المجتمع، وكان للتوسع المعيشي والازدهار الدنيوي للبعض ممن حسب على الخليفة عثمان رضي الله عنه وهيمنتهم على مقاليد بعض مفاصل الدولة أن كانت نتيجته أن نقم عليه بعض المارقين فثاروا عليه وطعنوا بصحة حكمه(٣).

ثالثا: العادات والتقاليد:

إن العادات والتقاليد التي أقرتها الشريعة الإسلامية كانت موجودة في عصر النبوة لذلك النبي محمد صلى الله عليه وسلم بعث ليتمم مكارم الأخلاق، وكذلك في عصر الخلفاء الراشدين رضي الله عنه، فالبساطة التي كانت تربط بين الخلفاء وعمالهم على الأمصار من جهة، وعامة المسلمين من جهة أخرى، كانت هي السمة الظاهرة، فمجالس كل خليفة تكون مفتوحة أمام المسلمين في المساجد وفي بيوت الخلفاء أنفسهم، فكان لهذه السماحة أثر كبير على نفوس المسلمين، مما أدى إلى قوة الترابط والتلاحم بين كل الفئات، فالمجتمع المسلم في صدر الإسلام كان يعيش في نمط اجتماعي واحد، فحتى الأفراح وحالات الزواج أو الطلاق أو المظاهر الاجتماعية الأخرى كانت على نمط

---

(١) بئر رومه: يقع أسفل وادي العقيق وحولها مزارع كثيرة، وتقابل الجرف وشمال مسجد القبلتين، اشتراها الخليفة عثمان بن عفان η من صاحبها اليهودي من خالص ماله وتصدق بها للمسلمين فابتاعها بثلاثين ألف درهم، قال عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم: نعم الصدقة صدقة عثمان يريد بئر رومه. ينظر: السمهوري، وفاء الوفاء، ج٣، ص٩٦٧ – ٩٧١.

(٢) سالم، السيد عبد العزيز: تاريخ الدولة العربية (تاريخ العرب منذ عصر الجاهلية حتى سقوط الدولة الأموية)، دار النهضة العربية (بيروت، ١٩٧١م)، ص٥٥٥.

(٣) البلاذري، فتوح البلدان، ص٢٧٠.

إسلامي رفيع المستوى فلا فرق لتلك العادات والتقاليد من ايام خليفة لأيام خليفة آخر[١]، إذ جميعهم كانوا يسيرون على نهج النبي محمد صلى الله عليه وسلم، فالذي أقره الإسلام من حيث العادات والتقاليد في مناسبات الأفراح والزواج والطلاق والاختلاط، أقر منه ما يتناسب مع الأسس والمبادئ الشرعية الإسلامية للسير على النهج النبوي العظيم، وما رفض من تلك العادات وغيرها، رفض لعدم تماشيه مع القيم العظيمة للإسلام، فبقي المجتمع على العادات والتقاليد التي تتماشى والشريعة الإسلامية ونبذ منها ما يتنافى والشريعة الإسلامية[٢].

الخاتمة

- كانت دولة الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم دولة عصامية تسير على نهج النبي محمد صلى الله عليه وسلم في كل أمورها الدينية والاجتماعية والاقتصادية، على الرغم من اختلافهم كل حسب اجتهاده، وامتاز عصرهم بالبساطة والتقشف من حيث الملبس، والمسكن، والمأكل.
- بعد أن كانت المدينة المنورة تعيش مظاهر البساطة في الحياة اليومية بالمعيشة والمظهر إلى نهاية خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، إلا أن هناك تغيرا صار بالحياة الاجتماعية نتيجة توسع حركة الفتوحات الإسلامية التي كان من نتائجها استقرار الكثير من أفراد البلدان المفتوحة في المدينة المنورة مما أتوا بعادات ومظاهر اجتماعية أدت إلى حالة التغيير ولاسيما بالمأكل والملبس ومظاهر الأبهة.

(١) هيكل، محمد حسنين: عثمان بن عفان بين الخلافة والملك، ط٥، دار المعارف (القاهرة، د.ت)، ص١١١-١١٢.

(٢) الجنحاني، الحبيب: التحول الاقتصادي والاجتماعي في مجتمع صدر الاسلام، دار الغرب الإسلامي (بيروت، ١٩٨٥م)، ص٣٥ – ٣٦.

- كانت البساطة وبساطة العيش والحكم العادل قد زادت من ترابط المجتمع وقوت عرى تماسكه فاصبح مجتمع المدينة المنورة مجتمعا فاضلا مثاليا مازال يثير الاهتمام والاعجاب على ما كان عليه من رقي في التعامل.
- ورث المسلمون من حقبة قبل الإسلام الكثير من المظاهر الاجتماعية، فكانت مفاصل كثيرة من الحياة الاجتماعية قد أبقاها النبي صلى الله عليه وسلم وكذلك ابقاها الخلفاء الراشدين، لأنها لا تتعارض مع روح الإسلام ومبادئه.

المصادر والمراجع

- **القرآن الكريم.**
- ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد الشيباني الجزري(ت،٦٣٠هـ/١٢٣٢م): أسد الغابة في معرفة الصحابة، دار الفكر (بيروت،١٩٨٩م).
- ابن سعد، أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع البصري (ت،٢٣٠هـ/٨٤٤م): الطبقات الكبرى، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية (بيروت،١٩٩٠م).
- ابن طباطبا، محمد بن علي (ت،٧٠٩هـ/١٣٠٩م): الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، مكتبة الثقافة الاسلامية (القاهرة، د.ت).
- ابن عبد الحق، صفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق البغدادي الحنبلي (ت،٧٣٩هـ/١٣٣٨م): مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، تحقيق وتعليق: علي محمد البجاوي، دار الجيل (بيروت،١٩٩٢م).
- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر الدمشقي (ت،٧٧٤هـ/١٣٧٢م): البداية والنهاية، دار الفكر(دمشق/١٩٨٦م).
- أبو يوسف، يعقوب بن إبراهيم (ت،١٨٢هـ/٧٩٨م): الخراج، دار المعرفة للطباعة والنشر (بيروت،١٩٩٧م).
- البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر بن داود (ت،٢٧٩هـ/٨٩٢): أنساب الأشراف، تحقيق: سهيل زكار ورياض الزركلي، دار الفكر (بيروت،١٩٩٦م). فتوح البلدان، دار ومكتبة الهلال (بيروت، ١٩٨٨م).
- الجنحاني، الحبيب: التحول الاقتصادي والاجتماعي في مجتمع صدر الإسلام، دار الغرب الإسلامي (بيروت، ١٩٨٥م).

- جيبون، إدوارد: اضمحلال الإمبراطورية الرومانية وسقوطها، ترجمة: محمد علي أبو درة، الهيئة المصرية العامة للكتاب (القاهرة، ١٩٩٧م).
- حسن، علي إبراهيم: التاريخ الإسلامي العام، مكتبة النهضة المصرية (القاهرة، ٢٠١٧م).
- الزمخشري، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر بن احمد (ت،٥٣٨هـ/١١٤٣م): أساس البلاغة، تحقيق: محمد باسل، دار الكتب العلمية (بيروت،١٩٩٨م).
- سالم، السيد عبد العزيز: تاريخ الدولة العربية (تاريخ العرب منذ عصر الجاهلية حتى سقوط الدولة الأموية)، دار النهضة العربية (بيروت، ١٩٧١م).
- السمهودي، علي بن عبد الله بن أحمد الحسني الشافعي (ت،٩١١هـ/١٥٠٥م): وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، دار الكتب العلمية (بيروت،١٩٩٨م).
- الطبري، محمد بن جرير(ت،٣١٠هـ/٩٢٢م): تاريخ الرسل والملوك، دار الكتب العلمية (بيروت،١٩٨٦م).
- عرجون، صادق إبراهيم: عثمان بن عفان، دار السعودية للنشر، (جدة،١٩٩٠م).
- الماوردي، أبو الحسن أحمد بن علي (ت،٤٥٠هـ/١٠٥٨م): الأحكام السلطانية والولايات الدينية، تحقيق: أحمد مبارك البغدادي، دار ابن قتيبة (الكويت، ١٩٨٩م).
- مسلم، أبو الحسين بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري (ت،٢٦١هـ/٨٧٤م): الجامع الصحيح المسمى صحيح مسلم، دار الجيل بيروت (بيروت، د.ت).
- هيكل، محمد حسنين: عثمان بن عفان بين الخلافة والملك، ط٥، دار المعارف (القاهرة، د.ت).
- ياقوت الحموي، شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله (ت،٦٢٦هـ/١٢٢٨م):

معجم البلدان، دار صادر (بيروت،١٩٧٧م).

References

• The Holy Quran.

• Ibn al-Athir, Izz al-Din Abu al-Hasan Ali ibn Abi al-Karm Muhammad al-Shaibani al-Jazari (d. 630 AH/1232 AD): The Lion of the Jungle in Knowing the Companions, Dar al-Fikr (Beirut, 1989 AD).

• Ibn Saad, Abu Abdullah Muhammad ibn Saad ibn Mani' al-Basri (d. 230 AH/844 AD): The Great Classes, edited by: Muhammad Abd al-Qadir Atta, Dar al-Kutub al-Ilmiyyah (Beirut, 1990 AD).

• Ibn Tabataba, Muhammad ibn Ali (d. 709 AH/1309 AD): Al-Fakhri in Sultanate Literature and Islamic States, Islamic Culture Library (Cairo, n.d.).

• Ibn Abd al-Haqq, Safi al-Din Abd al-Mu'min ibn Abd al-Haqq al-Baghdadi al-Hanbali (d. 739 AH/1338 AD): Observatories of knowledge on the names of places and regions, investigation and commentary: Ali Muhammad al-Bajawi, Dar al-Jeel (Beirut, 1992 AD).

• Ibn Kathir, Abu al-Fida Ismail ibn Umar al-Dimashqi (d. 774 AH/1372 AD): The Beginning and the End, Dar al-Fikr (Damascus/1986 AD).

• Abu Yusuf, Yaqub ibn Ibrahim (d. 182 AH/798 AD): Al-Kharaj, Dar al-Ma'rifah for Printing and Publishing (Beirut, 1997 AD).

• al-Baladhuri, Ahmad ibn Yahya ibn Jabir ibn Dawud (d. 279 AH/892 AD): Genealogies of the Nobles, investigation: Suhayl Zakar and Riyad al-Zarkali, Dar al-Fikr (Beirut, 1996 AD). Futuh al-Buldan, Dar and Library of Al-Hilal (Beirut, 1988).

• Al-Janhani, Al-Habib: The Economic and Social Transformation in Early Islamic Society, Dar Al-Gharb Al-Islami (Beirut, 1985).

• Gibbon, Edward:The Decline and Fall of the Roman Empire, translated by: Muhammad Ali Abu Durah, Egyptian General Book Authority (Cairo, 1997).

• Hassan, Ali Ibrahim:General Islamic History, Egyptian Renaissance Library (Cairo, 2017).

• Al-Zamakhshari, Abu Al-Qasim Jar Allah Mahmoud bin Omar bin Ahmed (d. 538 AH/1143 AD):The Basis of Rhetoric, edited by: Muhammad Basil, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah (Beirut, 1998).

• Salem, Mr. Abdul Aziz: History of the Arab State (History of the Arabs from the Age of Ignorance until the Fall of the Umayyad State), Dar Al Nahda Al Arabiya (Beirut, 1971).

• Al Samhoudi, Ali bin Abdullah bin Ahmed Al Hasani Al Shafi'i (d. 911 AH/1505 AD): Wafa Al Wafa with the News of Dar Al Mustafa, Dar Al Kotob Al Ilmiyah (Beirut, 1998 AD).
• Al Tabari, Muhammad bin Jarir (d. 310 AH/922 AD): History of the Messengers and Kings, Dar Al Kotob Al Ilmiyah (Beirut, 1986 AD).
• Arjoon, Sadiq Ibrahim: Othman bin Affan, Dar Al Saudia for Publishing, (Jeddah, 1990 AD).
• Al-Mawardi, Abu al-Hasan Ahmad ibn Ali (d. 450 AH/1058 AD): Sultanic Rulings and Religious States, edited by: Ahmad Mubarak al-Baghdadi, Dar Ibn Qutaybah (Kuwait, 1989 AD).
• Muslim, Abu al-Husayn ibn al-Hajjaj ibn Muslim al-Qushayri al-Nishaburi (d. 261 AH/874 AD): The Authentic Collection called Sahih Muslim, Dar al-Jeel Beirut (Beirut, n.d.).
• Heikal, Muhammad Hasanein: Uthman ibn Affan between the Caliphate and the Kingdom, 5th ed., Dar al-Maaref (Cairo, n.d.).
• Yaqut al-Hamawi, Shihab al-Din Abu Abdullah Yaqut ibn Abdullah (d. 626 AH/1228 AD): Dictionary of Countries, Dar Sadir (Beirut, 1977 AD).